يا من أحبه وأكرهه

وصلت المدرج بعد بداية المحاضرة الأخيرة، وحتى لا تلفت الأنظار إليها جلست في أقرب مكان للباب مضحيةً بمكانها المعتاد بين الزملاء والزميلات، وجاءت جلستها بجواره..

لم يعرها أدنى اهتمام وقرأت على ملامحه الاتزان وقوة الشخصية وهي خبيرة في هذه الأمور..

كان يفتقر إلى الأناقة في مظهره وتناسق هندامه، التقطت عيناها اسمه من أعلى غلاف كتاب كان أمامه (حسام الدين علي أحمد).

وأخذت تهمس له باسمه مستفسرة عن بعض نقاط في موضوع المحاضرة، وكان يجيبها بكل جدية، وهو يعلم أنها تريد الحديث معه من أجل الحديث فقط..

وعندما أدركت أنه بدأ يتململ من كثرة أسئلتها الساذجة وهو منهمك في تلخيص المحاضرة، كفت عن محادثته بعد أن رمقته بنظرة غيظ!

وبعد انتهاء المحاضرة اقترَبَت منه أكثر وهو يستعد للانصراف حتى كادت أن تلتصق به، فلفحه عبيرها الساحر وجذبه جمالها الأخَّاذ، كانت ترتدي بنطلون جينز (أخضر)، وبلوذة رقيقة حمراء اللون غاية في الأناقة، وشعرها الأصفر اللامع ينساب على كتفيها كسلاسل من ذهب..

ولم يلتفت إليها أحد، فالكل مشغول مع زميل أو زميله.

عرَّفته بنفسها دون طلبٍ منه (كريمة)، فجاء رده باقتضاب قبل أن تكمل باقي الاسم:

- أهلًا.

ونادت عليها إحدى الزميلات، ثم تبعها باقي الشلة فاستأذنته ومضى الجميع كلٌ في طريقه.

وعند بلوغه الباب الخارجي للكلية، لمحها تركب مع إحدى زميلاتها سيارة ملاكي لأحد الطلبة، فمصمص شفتيه مواصلًا السير إلى محطة الأتوبيس..

وفي اليوم التالي وهو يمر من أمام المكتبة، لمحها بصحبة مجموعة من الطلبة وهي تتحدث وتقهقه، وقد التفت يدها حول خصر أحدهم مما لفت إليهما الأنظار، وأسرع الخطى حتى لا تلحظه،

ولكنها سرعان ما تركت الشلة ولحقت به ونادت عليه طالبةً منه محاضرة الأمس، ووعدها بأنه سوف يحضر لها نسخة منها غدًا، وواصلا سيرهما معًا حتى المدرج.

وجلست بجواره، ولكن هذه المرة نادت عليها زميلة أخرى فتجاهلتها، وبدأت الأنظار تركز عليهما، كانت تهمس له وتميل عليه بطريقة فاضحة!، وكأنها وجدت فيه الرجولة المفقودة لدى الكثيرين من الطلبة!

كما أنها وجدت فيه فتى أحلامها، رغم الفارق الواضح بينهما في الشخصية وفي المستوى الاجتماعي.

وعندما بدأت تتحرك فيه غريزة الغيرة، سألها عن مدى علاقتها بالطالب الذي ركبت سيارته، والآخر الذي كانت تلف يدها حول خصره، فأجابته بمنتهى البساطة إنهما زملاء ليس أكثر، وما كان منه إلا أنه مصمص شفتيه متعجبًا.

راح يراقبها حتى تأكد من أنها متحررة جدًا ومتعددة العلاقات مع شبان الكلية دون هدف محدد، ولكنها مصرَّة على التمسك به رغم أنه ريفي وفقير، ولا يملك سيارة ولا أبهة مثل معظم الطلبة.

ذات صباح تعرَّض له أحد أصدقائها المقربين جدًا داخل حرم الجامعة واسمه (صلاح) ونصحه بالابتعاد عنها تمامًا وإلا...

ومن العجب أنه بعد هذه الخناقة تمسك بها، واقترب منها أكثر وأكثر، وكأن ذلك كان لمصلحتها، فهي التي تحبه من كل قلبها وقد سبقت وصرّحت له بذلك.

ولما تكرر ركوبها سيارات الطلبة بعد انتهاء اليوم الدراسي، بل إنه لمحها مرة بصحبة أحدهم في سيارته الفيات وهو يسير في اتجاه شارع الهرم..

ولم تحضر كريمة للكلية ثاني وثالث ورابع يوم، وفي اليوم الخامس سمع همسًا بين الطلبة يفيد بأن زميلهم (حسني) قد لقي مصرعه في حادث سيارة في طريق الهرم، حيث إنه كان يسير بسرعة جنونية واصطدم بشجرة، وأن زميلتهم (كريمة) كانت معه، وهي حاليًا ترقد في مستشفى الهرم في حالة سيئة للغاية، وكان بعضهم يطالع جريدة الأخبار التي ورد بها هذا الخبر في صفحة الحوادث.

أما عن صاحبنا فما كان منه إلا أنه راح يضرب كفًا بكف ولم ينطق بكلمة..

وكان هو أول من زارها بالمستشفى، وبعده توالت زيارات الطلبة والطالبات وبعض الأساتذة لها..

اقترب موعد امتحان «الترم» نهائي كلية الصيدلة، ولخطورة حالتها ظلت تحصل على إجازات مرضية حتى نهاية العام

الدراسي، وضاع منها امتحان «الترم»..

بعد أشهر تماثلت للشفاء وخرجت من المستشفى، وبدأت تطارده بالتليفون، أولًا كان العتاب لأنه لم يزرها بالمستشفى إلا مرة واحدة خلال هذه المدة الكبيرة، ثم دخلت في موضوعات أخرى كان من بينها أن ابن عمها وهو طبيب بشري قد تقدم لخطبتها، ولكنها لم توافق لأنها لا تحبه، وأنها لا تحب غيره هو.

أما هو فصرّح لها أكثر من مرة بأنه غير مستعد حاليًا للزواج، وأنه في بداية الطريق، وأنه لا يملك من متاع الدنيا إلا بكالوريوس الصيدلة.

وكانت نتيجة البكالوريوس قد ظهرت، وقد نجح بامتياز مع مرتبة الشرف الأولى..

وقد علم بعد ذلك أن ابن عمها قد تقدَّم لها فعلًا، وهو طبيب شاب ميسور الحال، ويعمل حاليًا مع خاله الطبيب المشهور في عيادته الخاصة بوسط البلد، ولكنها رفضته..

وأخذ يبحث في نفسه عما يميزه عن ابن عمها أو غيره، ومن وجهة نظره فلم يجد شيئًا..

إنسان ريفي بسيط من أسرة فقيرة، كان يحصل على تكاليف دراسته حتى الانتهاء منها بقدرة قادر، له من الإخوة والأخوات

خمسٌ في مراحل التعليم المختلفة، تتعايش الأسرة من معاش والده الذي يتقاضاه بعد خدمة أربعين عامًا، ولا دخل آخر غيره، والمعاش لا يكفي القوت الضروري..

فكيف ومن أين يتزوج ويفتح بيتًا؟، وأخيرًا وهو يحدث نفسه وبدون قصدٍ منه، خرجت من فمه عبارة (الصبر مفتاح الفرج).

ما زالت تطارده باتصالاتها التليفونية، فالعام الدراسي قد أوشك على الانتهاء ولم تتمكن من مقابلته، فقد التأمت جراحها تمامًا ولا استجابة منه، والحق إنه أحبها من كل قلبه ولكن (ليس بالحب وحده يحيا الإنسان).

وبعد أشهر قليلة تم تعيينه معيدًا بكلية الصيدلة، وكانت فرحته لا تُقدّر، فهو مجتهد ومتفوق وسوف يتقدم بأوراقه للحصول على درجة الماجستير ثم الدكتوراه..

وعلمت من إحدى زميلاتها بخبر تعيينه معيدًا في الكلية، وكانت فرحتها هي الأخرى لا تُقدر بثمن، وسارعت بالاتصال به لتبارك له، وهذه المرة رد عليها وكان يتحدث معها باهتمام بالغ، وصارحها بأشياء كثيرة، ولكنه لم يسبق الأحداث.

وبدأ العام الدراسي الجديد، وتسلم عمله معيدًا بالكلية، وأثناء ذلك تعرَّف على معيدة معه (اسمها ليلى)، وكانت غاية في الرقة

والجمال، وأعجبت به وأعجب بها من أول نظرة، واتضح أنها من أسرة محترمة ووالدها أستاذ بكلية الطب في نفس الجامعة ويُدعى (حمدي عبد الفتاح).

ولما كان دائمًا يضعف أمام المستويات العالية، فكان يحاول الابتعاد عنها، بينما كانت هي تقترب منه وتتحدث معه في موضوعات شخصية دون تكلّف، وكان يرد عليها بكل صراحة، فكانت تتعلق به أكثر..

في أحد الأيام سألته بكل جرأة:

- إنت مرتبط يا حسام؟

(أهو ده السؤال اللي أنا خايف منه!).

إن قال نعم سوف تبعد عنه، وإن قال لا سوف تقترب منه أكثر فأكثر رغبة في أن ترتبط به (وهو مش أد الناس دي).

وبعد تردد قال لها:

- الحقيقة أنا مابفكرش في الموضوع ده دلوقت.

- أمال إمتى هاتفكر فيه؟

- يعني قدامي شوية كدة لما أستعد.

- تستعد من ناحية إيه؟، مانت الحمد لله نجحت بتفوق واتعينت بالكلية، ولا مش مستعد ماديًا يعني؟، مهو فيه عرايس كتير بتقوم بكل حاجة.

- لكني مش موافق على الزواج بهذه الطريقة، دي مسألة كرامة.

- يا سيدي.. خليك سهل شوية، المثل بيقول (المليان يكب على الفاضي)!

ونظر إليها بإعجاب وابتسامة قائلًا في نفسه (دي باين عليها واخدة الموضوع بجد!)، وأدرك ما تقصده.

أما عن البنت كريمة فما زالت تطارده باتصالاتها، ووجد نفسه في حيرة بين الاثنتين.

الأيام تجري ولا بد أن يحدد مصيره، حتى على الأقل في اختيار إحداهما، وكلتاهما على أتم استعداد على تحمل نفقات الزواج، ما عدا الشقة (وآه من الشقة!)، الإيجارات نار والتمليك ولا في الأحلام، وازدادت حيرته.

وقال في نفسه (يا سيدي اركن كرامتك على جنب شوية لغاية ما تتجوز).

طب والمستوى الاجتماعي؟ (المهم المستوى العلمي، وإنت

ذنبك إيه، أنت عملت اللي عليك ووصلت لمركز علمي كويس واللي جاي أحسن بإذن الله).

ثم يستطرد: ربنا سبحانه وتعالى لم يخلق كل الناس أغنياء، المهم القبول (يا عم دي فرصة العمر، كون البنت لمحت لك بصراحة، يلا خد خطوة إيجابية والتساهيل على الله).

ويتسرب الخبر إلى علم (كريمة) وهي التي لا تنام الليل من التفكير فيه وفي مستقبلهما معًا، وبدأت تكرهه وتكره سيرته..

ولما كانا يلتقيان هو وليلى دائمًا في المعمل، كانت لا تفارقه، وعند الانفراد بها كان يعبِّر لها عن شعوره ناحيتها وهي تبادله نفس الشعور..

وعلم منها أنه قد سبق وتقدَّم لها أستاذ مساعد بالكلية، وكان معجبًا بها أيما إعجاب، ولكنها رفضته لكبر سنه، فهو يقترب من سن والدها!

وعمل المستحيل ولكن بلا جدوى..

وسرعان ما اتصلت بها كريمة تليفونيًا لتبارك لها على العريس!

فكان ردها:

- أبدًا مفيش حاجة من الكلام ده، أبدًا ده زميل زي أي زميل آخر.

فدخلت الطمأنينة قلبها بعض الشيء، رغم أنها لم تصدق فقد انتشر الخبر في الكلية بسرعة البرق..

وقالت في نفسها (الأيام بيننا).

وذات يوم، صارح أسرته بما يجول في خاطره (وهم ناس غلابة وعلى أد حالهم)، ففرحوا بهذا الخبر، وشجعوه للتقدم لخطبتها في أسرع وقت، وقالت الأم:

- وماله يا ابني، البنت مادام شرياك، إتقدم ومين يلاقي فرصة زي دي ويرفضها؟.

وعقد العزم على التقدم لها وأخبرها بذلك، وقد لمح لها عن ظروفهم المالية والاجتماعية، ولكنها رحبت به.

واصطحب والده وذهب إلى منزل ليلى بناءً على موعد مسبق، وكان استقبال والدها له فاترًا للغاية!، خاصةً عندما رأى والده بجلبابه البلدي المتواضع..

وكان والده في نص هدومه من هذه المقابلة، المثل بيقول (لاقيني ولا تغديني!).

ولم تظهر العروس، حيث قدَّمت الخادمة التحية لهما، وبالطبع لم يسأل حسام عنها، وبدأ والدها يستجوبه:

- أمال فين الست الوالدة؟

فأشار مرتبكًا إلى والده الجالس بجانبه قائلاً:

- مهو كفاية والدي (الأستاذ علي أحمد).
- أهلاً وسهلًا حصلِّنا الشرف!، والست الوالدة كنا نحب نشوفها..

ثم استطرد متسائلاً:

- عندك شقة يا دكتور؟، وهل عندك دخل آخر؟
- والله والدتي عندها ظروف، أصلها عيانة شوية، أما عن الشقة فربنا يسهل (الأم في الحقيقة لم تجد فستانًا مناسبًا يصلح لهذه الزيارة!).

وما كان من الأستاذ الدكتور والد العروس إلا الصمت، وكان الموقف غاية في الإحراج، فيبدو أنه منع البنت من مقابلة العريس لعدم اقتناعه به (وإيه اللي غاصبنا على كدة: الحب؟ ملعون أبو الحب، والمثل بيقول قبل ما تناسب حاسب!).

وهم حسام ووالده بالانصراف دون أن ينطق والد العروس بكلمة، وقال حسام متسائلاً:

- ننتظر من سيادتك الرد؟

فقال الرجل بسخرية:

- إن شاء الله.. مع السلامة، شرفتم.

ولم يناما ليلتهما حسام وليلى، ولم تحضر هي إلى الكلية في اليوم التالي، فلم تعرف كيف تواجهه بعد هذا الموقف المؤسف، وتقابلا بعدها واعتذرت له بشدة عن عدم موافقة والدها.

فقال لها متسائلاً:

- يعني مفيش أمل؟

فلم ترد، وفرت الدموع من عينيها..

ولعن في سره كل من شجعه على اتخاذ هذه الخطوة والتقدم لليلى دون استعداد.

وقال له والده بنبرة ندم:

- أنا غلطان يا ابني إني روحت معاك، دول ناس مش بتوعنا.

وماذا بعد؟..

ولما كان قد اتخذ قرارًا بعدم الرد على تليفونات كريمة، بعد أن سمع عن أخر أخبارها، فقد تم الاتفاق على خطوبتها لابن عمها الطبيب الشاب، راح يفكر جديًا في الهجرة، أو الحصول

على عقد عمل بإحدى دول الخليج حتى يستعد، ثم يتقدم لبنات الناس..

وفوجئ بورود رسالة على الموبايل من كريمة هذا نصها:

- وحشتني جدًا جدًا، سمعت عن أخر أخبارك، وثق إنني سأظل أحبك إلى الأبد رغم كل شيء، الوداع يا من أحبه وأكرهه... المخلصة إلى الأبد كريمة..